ترتيب عناصر الجملة الاسمية

الأصل في ترتيب عناصر الجملة الاسميّة أن يتقدّم المبتدأ ويتأخّر الخبر. وقد يأتي الترتيب على غير الوجه الأصلي لداعٍ بلاغي، أو لسبب نحوي تفرضه قواعد التركيب، فيتقدّم الخبر ويتأخّر المبتدأ، وأيّا كان الترتيب فهو إمّا أن يكون واجبا وإمّا أن يكون جائزا.

أوّلا: ـ تقدّم المبتدأ وجوبا: يتقدّم المبتدأ وجوبا في الحالات التالية:

1 . أن يكون من أسماء الصدارة، ويكون المبتدأ اسما له الصدارة في الجملة إذا كان:

ا ـ من أسماء الشرط كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهْ ﴾ (الزلزلة، 7). من: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، ويعمل: فعل مضارع مجزوم بمن وعلامة جزمه السكون، والفاعل ضمير مستتر، ومثقال: مفعول به وهو مضاف، وذرّة: مضاف إليه، وخيرا: تمييز، والجملة فعل الشرط. وير: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلّة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على اسم الشرط، والهاء: ضمير متّصل مبني على الضّم في محل نصب مفعول به، والجملة جواب الشرط، وهي في محلّ رفع خبر المبتدأ (من).

ب ـ أو من أسماء الاستفهام، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ مَن راقٍ ﴾ (القيامة 27). من: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. راق: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمّة الموجودة على الياء المحذوفة، والتنوين عوض عنها. والجملة من المبتدأ والخبر في محل رفع نائب فاعل للفعل قيل.

ج ـ أو يكون (ما) التعجّبية، كقولك: ما أروع القصيدة. ما: تعجّبية مبنية على السكون في محلّ رفع مبتدأ. وأروع: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على ما التعجّبية. والقصيدة: مفعول به. والجملة في محلّ رفع خبر.

د ـ أو(كم) الإخبارية، وهي التي تفيد كثرة المخبر عنه، كما في قول الشاعر:

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى *** وحنينه أبدا لأوّل منزل.

كم: إخبارية تفيد الكثرة، مبنية على السكون، في محلّ رفع مبتدأ. ومنزل: تمييز مجرور بالإضافة. و(في الأرض) شبه جملة متعلّق بصفة لمنزل محذوفة، تقدّر بموجود. وجملة (يألفه الفتى): في محلّ رفع خبر.

2ـ أو يكون شبيها باسم الشرط مثل: الذي يجتهدُ فله الجائزةَ. الاسم الموصول الذي مبتدأ، وجملة (فله الجائزةَ) خبر، واقتران جملة الخبر بالفاء هو وجه الشبه بينها وبين جملة جواب الشرط.

3 ـ أو يضاف إلى ما له الصدارة في الكلام مثل: غلام من معك؟ غلام: مبتدأ وهو مصاف، ومن: اسم استفهام مبني على السكون في محل جر مضاف إليه، (معك): شبه جملة من جارّ ومجرور متعلّق بخبر محذوف تقديره موجود.

4 ـ أن يكون مقترنا بلام التوكيد، وتسمّى لام الابتداء، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾ (الضحى 4). الآم للبتداء وتفيد التوكيد، والآخرة: مبتدأ مقدّم وجوبا لاتّصاله بلام الابتداء. وخير: خبر. ولك: شبه جملة متعلّق بصفة أولى لخير. و(من الأولى): شبه جملة متعلّق بصفة ثانية لخير.

5 ـ أن يشترك المبتدأ والخبر في التعريف أو التنكير، ولا توجد قرينة تميّز أحدهما عن الآخر، فيتقدّم المبتدأ وجوبا خشية الالتباس.

ـ مثال اشتراكهما في التعريف قولك: (أخوك زيد)، و(زيد أخوك). الأوّل في الجملتين مبتدأ، والثاني خبر. فإن أمن اللبس جاز التقديم والتأخير، كما في قول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا *** بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد.

الشاهد في البيت قوله: (بنونا بنو أبنائنا). بنونا: خبر مقدّم، وبنو أبنائنا مبتدأ مؤخّر. لأنّ الشاعر أراد أن يخبر عن أحفاده بأنّهم أبناؤه. ومنه قولك: (أبو يوسف أبو حنيفة). أبو يوسف: خبر مقدّم. وأبو حنيفة: مبتدأ مؤخّر. لأنّ الرجل عُرف بأبي حنيفة أكثر ممّا عرف بأبي يوسف، فأبو حنيفة أعرف من أبي يوسف.

ـ ومن اشتراكهما في التنكير قولك: (مثلك مثله)، و(مثله مثلك). الأوّل مبتدأ والثاني خبر. ومن قال إنّ هذين المثالين هما من اشتراك المبتدأ و الخبر في التعريف لا في التنكير، بحجّة أنّ لفظ (مثل) في الحالتين مضاف إلى الضمير، والمضاف إلى المعرفة معرفة. نقول له: إنّ لفظ (مثل) من الألفاظ التي لا تعرّف ولو أضيفت إلى معرفة، لأنّ المركّب الإضافي (مثلك) و(مثله) يدلّ بالضرورة على متعدّد. والنكرة في ما دلّ على متعدّد.

6 ـ أن يكون المبتدأ محصورا في الخبر. وذلك بأن يقترن الخبر بإلاّ الاستثنائية، سواء أكان الاقتران لفظيا، كما في قوله تعالى: ﴿ما محمدٌ إلاّ رسولٌ ﴾(آل عمران 144). أو معنويا كما في قوله تعالى: ﴿إنّما أَنْتَ نذيرٌ﴾ (هود 12). لأنّ معنى الجملة: ما أنت إلاّ نذير.

ثانيا: تقدّم الخبر وجوبا:

يتقدّم الخبر على المبتدأ وجوبا في الحالات التالية:

1 ـ إذا كان المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة، شريطة أن يكون الاسم المجرور في شبه الجملة معرفة. سواء أكان شبه الجملة من جارّ ومجرور، أو ظرفا. واجتمع النوعان في قوله تعالى: ﴿ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ (الأعراف 46). وتعريف الاسم المجرور في شبه الجملة ضمان لفائدة التركيب، ولو جاء نكرة لانعدمت الفائدة، فقولك: (في الدار رجل) تركيب مفيد. وقولك: (في دار رجل) غير مفيد.

2 ـ إذا كان الخبر اسم استفهام، مثل: (كيف حالك؟)، و(من أنت؟). ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الملك 25).

3 ـ إذا اتّصل بالمبتدأ ضميرا يعود على شيء في الخبر. كقولك: (في الدّار صاحبها)، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد 24). شبه الجملة (على قلوب) خبر مقدّم، و(أقفال) مبتدأ مؤخّر لأنّه مضاف إلى الضمير (ها) العائد على القلوب. ومنه أيضا قول الشاعر:

أهابكِ إجلالا وما بكِ قدرةً *** ولكن مِلْءُ عينٍ حبيبُها.

الشاهد في البيت قوله: (مِلْءُ عينٍ حبيبُها). ملء: خبر مقدّم مضاف إلى (عين)، وحبيب: مبتدأ مؤخّر مضاف إلى هاء الغائبة.

4 ـ أن يكون الخبر محصورا في المبتدأ، وذلك إذا اقترن المبتدأ بـ(إلاّ) الاستثنائية مثل: (ما خالق إلاّ الله). ما: نافية. وخالق: خبر مقدّم. إلاّ: أداة استثناء. ولفظ الجلالة مبتدأ مؤخّر.

جواز التقديم والتأخير:

إذا خلا التركيب من الحالات التي يجب فيها تقديم المبتدأ أو الخبر جاز التقديم والتأخير. كأن يكون المبتدأ معرفة والخبر نكرة، قال تعالى: ﴿سَلاَمٌ هِيَ﴾ (القدر 5). سلام: خبر مقدّم جوازا. وهي: مبتدأ مؤخّر. وقوله تعالى: ﴿آيةٌ لَهُمْ اللّيْلُ﴾ (يس 37). آية: خبر مقدّم. (لهم): شبه جملة صفة لآية. الليل: مبتدأ مؤخّر.

أو أن يكون المبتدأ معرفة والخبر شبه جملة. قال تعالى: ﴿لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ﴾ (الروم 4). وقال: ﴿الأمر يومئذ لله﴾ (الانفطار 19). لفظ الجلالة في الآيتين مبتدأ وشبه الجملة (لهه) خبر.